حياة التسلية والترفيه فى المجتمع الأندلسى

د . سعد عبد الله البشرى*

دراسة الحياة الاجتماعية فى أى قطر من أقطار الدولة الإسلامية من الدراسات التى ينبغى العناية بها وتسليط الضوء على جوانبها المختلفة ، إذ فيها ما يعين على كشف الكثير من الجوانب الخفية والنواحى الغامضة فى التاريخ الإسلامى ، ويقّدم تفسيرات مهمة لعدد كبير من وقائع وأحداث التاريخ . وانطلاقًا من هذه الحقيقة رغبت فى دراسة جانب مهم من جوانب الحياة الاجتماعية فى الأندلس، هو ما يتصل بحياة التسلية والترفيه فى المجتمع الأندلسى، وركزت فى هذا البحث على ما يتعلق بوسائل التسلية التى كان يمارسها الأندلسيون ويجدون فيها المتعة والترويح عن النفس . وكان اهتمام الباحث منصبًا أكثر على ألوان الألعاب والرياضيات المسلية وبعض الوسائل الأخرى البريئة . ولم نتعرض خلال البحث إلى وسائل أخرى ندرك أنها اتصفت بشئ من ألوان المجون أو الابتذال ، مثل مجالس الطرب والغناء . ونرجو من خلال هذه الدراسة المتواضعة أن نكون قد ألقينا بعض الضوء على جانب له أهميته فى تاريخ المجتمع الأندلسى والكشف عن بعض جوانبه التى تلامس مشاعر الناس وتمس أحاسيسهم، وكما أن هناك تاريخ لآلامهم فهناك صفحات باسمة فى حياتهم .

الألعاب :

عرف الأندلسيون فى تاريخهم عددًا من الألعاب التى مارسوها بقصد التسلية والترويح عن النفس ، وكان البعض يمارس لعبة أو ألعابًا مختلفة بدافع الارتزاق والحصول على المال .

---

* أستاذ مشارك التاريخ الإسلامى - جامعة أم القرى .

وتجدر الإشارة إلى تنوع الألعاب ، فمنها ما يمكن أن نطلق عليه : الألعـاب الرياضية كسباق الخيل ، والرماية ، ورياضة الصيد والقنص ، ومصارعـة الثيران . ويلحق بذلك لاعبو الحركات الغريبة أو ما عرف عند الأندلسيين بـ (العجائبى)، وهو ما يعرف اليوم بالبهلوان ، الـذى يقـوم بألعـاب تتطلـب المهـارة فـى الحركـة وإثارة إعجاب النظارة . وهناك أنواع من الألعاب الأخـرى كلعبـة خيـال الظـل ، ولعبـة الشـطرنج وغيرهمـا . ومـن أنـواع الألعـاب مـا يسـتخدم فيـه الحيـوان ، كمصارعة الإنسان للحيوان ، أو صراع الحيوانات بعضها مع بعض ، أو اسـتخدام الحيوان لتأدية حركات معينة كألعاب القّرادين .

أما عن ألعاب الرياضة والفروسية فإن هذا اللون من الألعـاب حظـى بعنايـة واهتمام الأندلسيين . وليس هذا بدعًا فى سلوكهم وعاداتهم وتقاليدهم فقد ورثوا الولع بهذا الصنف من الألعاب عن آبائهم وأجدادهم ، إذ هى من الرياضات التـى شغف بها العرب منذ جاهليتهم(١) وزادها الإسلام عناية ، لما فى ذلك من مظاهر الشجاعة والرجولة والفروسية . فسباق الخيل لون من ألـوان الفروسـية نـال عنايـة الأندلسيين وولعوا به حكامًا ورعايا ، فكانت رياضة سباق الخيـل مـن الرياضـات التى يشاهدها أمـراء بنى أميـة ويشجعون الناس على ممارستها ، ويغدقـون الجوائـز على الفائزين فى حلبات السباق . كمـا كـان يصـاحب هـذه السـباقات عـروض أخرى من رياضيات الفروسية كاللعب بالسيوف والرماح . وكـان يـوم المهرجـان الذى يحتفل به الأندلسيون ، من الأيام التى تشـهد سـباق الخيـل بصـورة واسـعة . وقد تحدث عنها الشعراء(٢) ومما عمق الاهتمام بهذه الرياضة روح الجهاد ومجابهـة مخاطر القوى النصرانية فى شمال الأندلس وحماسة المسلمين إلى النفـير وتلبيـة داعـى الجهاد ، ولا يتم ذلك إلاّ لمن توفرت فيه مؤهلات الفروسية والقدرة البارعـة علـى الكرّ والفرّ .

وكان أهل الحسبة والمشتغلون بالتأديب يعمدون إلى تشجيع الناس على تعلم الرماية ، والسباحة ، وألعاب الفروسية ، وذلك بدلاً من ممارسة غير النافع من ألوان اللهو(٣) .

وكان الخليفلة الحكم المستنصر (٣٥٠ - ٣٦٦ هـ / ٩٦١ - ٩٧٦م) حريصًا على مشاهدة ألعاب الفروسية وسباق الخيل (حتى لظل أيام علته ... يتطلع على فرسان البرابر إذا تحركوا للعب ، شاخصًا إليهم معجبًا بهم ويقول لمن حوله : انظروا إلى انطباع هؤلاء القوم على خيلوهم فكأفنهم الذين عناهم الشاعر بقوله :

فكأنما ولدت قيامًا تحتهم وكأنهم وُلِدوا على صهواتها

ما أعجب انقيادها لهم . كأنها تفهم كلامهم ...(٤) .

يذكر ابن عذارى أن الناس فى قرطبة كانوا يخرجون لرؤية العساكر المتأهبة للغزو ، وحدث أن خرج الناس رجالاً ونساءً وأخذت طائفة من الناس تحاكى صفى القتال و تمثل أسلوب الكر والفر فى القتال(٥) . ويبدو أن هذه الظاهرة كانت معروفة لدى الأندلسيين وكانوا يمارسونها من باب الإعجاب بالفروسية وفنون القتال .

كذلك كان الموحدون يمارسون ألعاب الفروسية على ظهور الخيل . ويصف ابن صاحب الصلاة إحدى احتفالاتهم التى شارك فيها الخليفة يعقوب المنصور سنة ٥٦١ هـ/١١٦٥م فيقول (وتجاولت الخيل من فرسان العساكر بالجرى واللعب والدفاع بالحملات والكرات ، والطبول تضرب من ضحوة النهار إلى أذان الظهر من اليوم المذكور ، حتى حمل الأمير بنفسه فى تلك الوقعات سرورًا فأظهر من ركوبه وفروسيته أمرًا عجيبًا)(٦) .

وعندما قدمت جموع العرب من أفريقية للانضمام لجيوش الموحدين على عهد الخليفة أبى يعقوب المنصور ، وذلك فى ربيع الثانى ٥٦٦هـ ١١٧٠م أعد لهم استقبالاً حافلاً . وللتعبير عن سروره بقدومهم طلب من عساكر العرب وعساكر الموحدين أن يحمل بعضهم على بعض (جريًا ولعبًا وفرحًا وطربًا . ورأى الحاضرون والنظار منهم عجبًا ودام ذلك اللعب والطرب ، والطبول تضرب إلى أن مضى أكثر النهار)(٧) .

وقد عرفت هذه الألعاب والسباقات وإظهار فنون الفروسية بحملات الخيل ، ولا تزال تجرى فى بلاد المغرب إلى يومنا هذا ، وخاصة عند الأفراح والمواسم(٨).

وأولى بنونصر ملوك غرناطة عنايتهم هذا الجانب ، وكانوا أنفسهم يمارسون سباق الخيل ، وألعاب الفروسية . وقد أثنى ابن الخطيب على السلطان محمد بن إسماعيل بن فرج ٧٢٥ - ٧٣٣هـ فوصفه بقوله : (حلس ظهور الخيل ، أفرس من جال على صهوة ، لا تقع العين - وإن غصَّت الميادين - على أدرب بركض الجياد منه مغرمًا بالصيد ، عارفًا بسمات الشفار وشيات الخيل ...)(٩) .

وكان السلطان النصرى محمد الخامس (٧٥٥ - ٧٩٢هـ) ممن شغف بالجياد وسباقها . وكان يشهد حفلات السباق ، ويحتفى بالفائزين فيه ، وفى ذلك يقول وزيره أبو عبد الله بن زمرك :

لك الجياد إذا تجرى سوابقها فللرياح جياد ما تجاريها

إذا انبرت يوم سبق فى أعنتها ترى الروق طلاحًا لا تباريها(١٠)

وبلغ من اهتمام بنى نصر ورعاياهم بألعاب الفروسية وسباق الخيل أن جيرانهم من رعايا مملكتى أرغون وقشتالة كانوا يقصدون غرناطة للمشاركة فى ألعاب الفروسية(١١) .

واشتهر من رجال الدولة النصرية بالفروسية وألعابها المختلفة كإجادة الرماية والمبارزة : محمد بن أحمد بن قطبة الدوسى الذى وصفه ابن الخطيب - وكان أحد أصحابه - فقال : (ومناقبه يقصر عنها الكثير من أبناء جنسه ، كالفروسية والتجنّد والبسالة والرماية والسباحة والشطرنج ، متحمّد بحمل القنا مع البراعة ...)(١٢) .

ومن وسائل الترويح والتسلية [الصيد] ، وهو من ألوان الرياضات التى عرفها العرب قديمًا . ولما دخلوا الأندلس ورأوا ما بها من ألوان الحيوانات والطيور، زاد شغفهم بالصيد والقنص . وكان نهر الوادى الكبير الذى يقع عليه عدد من المدن الأندليسية منها قرطبة وأشبيلية ، من المواضع التى يخرج إليها الناس للنزهة والصيد .

وكان الصيد يتم بوسيلتين : (**الأولى**) بالبزاة (جمع بازى) والجوارح ويعرف البيزرة ويسمى صاحبها : بازيًا . و(**الثانية**) بالكلاب والفهود ويُسمى صاحبها : الكلاّب والفهّاد(١٣) .

وقد أعطى حكام وأمراء الدولة الأموية فى الأندلس هذه الرياضة المثيرة الكثير من اهتمامهم ، حتى أنهم خصصوا فى دولتهم خطة للبيزرة ، يتولاها بعض كبار رجال الدولة كالحاجب بدر بن أحمد وفطيس بن أصبع ، والفتى خؤذر الصقلبى(١٤) وكان أشهر من تولاها على عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر نجم بن طرفه(١٥) .

ونظرًا لما كانت تحظى به هذه الرياضة المسلية من اهتمام بنى أمية وشيوع ممارستها بين الأهالى ، قال الناس عن الأمير هشام الرضا عندما أصلح قنطرة قرطبة، وبالغ فى ذلك : (إنما بناها لتصيده ونزهته) فحلف حين بلغه ذلك ألا يجوز عليها إلا لغزو أو مصلحة(١٦) .

ولم تكن هذه الرياضة حكرًا على الحكام فقط ، فهذا مطروح بـن سليمان الأعرابى أحد الثائرين على الأمير هشام الرضا ، كـان مولعًـا بـالصيد ، وقـد لقـى حتفه غدرًا فى إحدى متصيداته(١٧) .

وكان الملوك والأعيان يدربون صقورهم وجوارحهم على الصيد فى نواحى أشبونة ، وجبال شرق الأندلس وجزر البليار . وكان المسئولون عن الصيـد بـالبزاة والصقور والجوارح يولون مواسم الصيد اهتمامهم ، حيث تكثر فيها أنواع الطيور ومنها الغرانيق فى الوادى الكبير(١٨) ويبدو أن نهر الوادى الكبير كان من المواطـن المفضلة لصيد أنواع الطيور والحيوانات ، وكان من الأماكن التى يخرج إليها الناس خاصة وعامة للنزهة والتصيد(١٩) .

ومن الطريف أن نشير إلى أن من أنواع الحيوان الذى شـغف النـاس بصيـده حيوان (السمور) الذى يستخدم وبره فى الفراء الفاخر . ويذكر أحد الأطباء أنـه حيـوان يكـون فـى بحـر الـروم ولا يحتـــاج منـــه إلا إلى خصـــاه فيؤخـــذ وتقطـــع ويطلق(٢٠).

وفى مقامة للوزير أبى حفص عمـر بـن شـهيد (حيًـا فـى سنة ٤٤٠هـ / ١٠٤٨م) يشير إلى حياة الصيـد والطـراد فيقـول : " ثـم رحلنـا وتذكرنـا الطّـراد فمشيت الجياد ، وتواثبت آساد ، واستُعدّ بباز وكـلاب فـإذا بحـر مـن بـرَكٍ يخرقـه سفين من بُرك(١٢) ، وفى السيّور صقور إذا نظرت . وليـوث إذا جُـردّت . تنظـر من أمثال الدنانير ، وتتخطف بأشـباه المرهفـة الذكـور ، فأرسـلناها إرسـال سـهام الأحداق إلى قلوب العشاق، فلم نر إلا ريشًا محلوجًا . ومنسرًا يُحسن توديجًا(٢٢) ".

ونجد نصوصًا متفرقـة عـن الصيـد بـالجوارح والحيوانـات فـى عصـر ملـوك الطوائف ، إذ كان هؤلاء ممن ولعوا بهذه الرياضة المسلية . وكان ولاتهم وعمالهم يتقربون إليهم بإهداء أنـواع متميزة مـن الصقـور والجـوارح ، وبعـض الحيوانـات المدربـة علـى الصيـد . وفـى أحيـان أخـرى يمنحهـا الحكـام أو الملـوك رجـــالاتهم

وأعوانهم . من ذلك إهداء ابن طاهر أمير مرسية المنصور بن محمد بن أبى عامر ملك بلنسية بعض الصقور المدربة وإهداء ابن المرغوى الأشبيلى للملك المعتمد بن عباد كلبة صيد وصفها فى شعر بقوله :

لم أر ملهى لذى اقتناص ومكسبًا مقنع الحريص
كمثل خطار ذات جيد أتلع فى صفرة القميص
كالقوس فى شكلها ولكن تنفذ كالسهم للقنيص
إن تخذت أنفها دليلاً دل على الكامن العويص(٢٣)

وللشاعر الأديب أبى العباس ابن حمدين القرطبى المتوفى (٥٢١هـ/ ١١٢٧م) وصف ممتع لأحد كلاب الصيد ومنها ما أورده شعرًا حيث يقول :

إذا عدا واشتد فى طلابه يكاد يخرج من إهابه
متقدًا كالنار فى التهابه لا يطعن الصيد بغيرنابه(٢٤)

ومن الآثار التى تدل على الولع بحياة الصيد بالحيوانات كالفهود فى القرن السادس الهجرى ، ما نجده منقوشًا على علبة محفوظة بمجموعة أو كتافيو ، هومبرج ، ويمثل النقش فارسًا يركب خلفه فهد(٢٥) . وكان محمد بن عبد الملك ابن سعيد المتوفى (٥٨٩هـ / ١١٩٣م) إذا ركب فى الصباح الباكر للصيد من داره الواقعة بجوار جامع غرناطة ، شوّش على المصلين صلاتهم بأصوات دوى الجلاجل بالبزاة ، ومناداة الصيادين ، ونباح الكلاب(٢٦) .

ولم تنقطع هواية الصيد فى القرون التالية ، فقد مارسها سلاطين بنى الأحمر ملوك غرناطة ، واشتهر منهم بذلك : السلطان محمد الرابع والسلطان محمد الخامس . وقد احتفظت الكتب التى أرخت لهم بمقطوعات شعرية تتضمن الإشارة إلى ذلك(٢٧) .

وكانت الحيوانات البرية كثيرة فى جبال شلير ، ومنها الدببة والغزلان ، إلى جانب ما حفلت به المناطق الغرناطيـة بـأنواع الطيـور والحجـلان والبـط والـدراج والحمام الـبرى ، وكـانوا يستخدمون لاصطيادهـا طيـور البـاز التـى لقيـت عنايـة واهتمام الغرناطيين(٢٨) .

وتجدر الإشارة إلى أن من بـين كثـير مـن القطـع الأثريـة التـى حفظـت مـن الضياع ، والتى تعود إلى تاريخ مسلمى الأندلس ، ما يحمل فـى زخرفتـه ونقوشـه ورسـومه مـا يـدل علـى ولـع الأندلسـيين بـالصيد ، سـواء كـان صيـد الحيوانـات كالغزلان والأيل أو صيد أنواع الطيور المختلفة(٢٩) .

المصارعة – والمبارزة – الصولجان – الكرة :

ومـن الألعـاب الرياضيـة التـى مارسـها الأندلسيون المصارعـة والمبـارزة ، وتوضح لنا بعض التحف الأندلسية التى سلمت من الضياع ، – ومنها علبة المغيرة بمتحف اللوفر – ما لقيته رياضة المصارعة من اهتمام ، إذ يصور نقشـها مصـارعين يمسك أحدهما بالآخر ويحاول أن يطرحه أرضًا . وفى تحفة فنية أخرى تنسب لعبد الملك بن المنصور العامرى ثلاثة نقوش ، ثلاث صور ، فـى الأولى رجـلان يركبـان فيلين بينهما شجرة ، وقد تسلحا بترس وسيف ، وفى النقش الثانى يبـدو فارسـان يحاول أحدهما طعن آخر برمحه الطويل فيتلقاه الثانى بدرعه ويهـم بطعنـه بسـيفه ، وفى النقش الثالث صورة فارسين يستعدان للمبارزة(٣٠) .

وكان كثير من الناس – وليس الأمر وقفًا على الفرسان وحدهـم – يلعبـون بالسيوف والرماح ، ويمارسون لعبة المبارزة والطعن بالرماح ، وما أشـرنا إليـه مـن الرسومات والنقوش فيه ما يؤكد ذلك .

كذلـك مـن أنـواع الرياضـات المسـلية التـى عرفهـا الأندلسـيون (لعبـة الصولجان) ، وهى رياضة تمارس من فوق صهوات الخيل . وقد نقلها العـرب عـن

الفرس . والصولجان اسم العصا التى يُلعب بها ، هى المضرب التى تضرب بها الكرة ، وفى نهايتها ما يشبه رأس المطرقة مصنوع من الخشب . والكرة التى تستخدم فى رياضة الصوالجة كانت بحجم البرتقالة وتصنع من الجلد المضغوط ، ويتدافعها اللاعبون بمضاربهم وهم فوق خيولهم لإدخالها المرمى ، وهو عبارة عن قائمين بينهما مسافة هى سعة المرمى(٣١) .

وممن مارس هذه الرياضة فى الأندلس الأمير الحكم بن هشام (١٨٠ - ٢٠٦هـ / ٧٩٦ - ٨٢١م) إذ كان يلعبها مع رجاله داخل قصره ، ولم تكن القلاقل التى اندلعت فى عهده تمنعه عن ممارسة هواياته ورياضته المسلية(٣٢) .

وما من شك فى أن هذه الرياضة كانت من الرياضات المفضلة عند حكام وأعيان الأندلس ، فهى من الرياضات الملوكية التى لقيت إقبالاً واسعًا لدى هذه الفئة من المجتمع . ومما يشير إلى ممارسة الأندلسيين لهذه اللعبة (الصولجان) قول الشاعر أبى الحسن على بن إبراهيم بن الزقاق (ت قريبًا من ٥٣٠ / ١١٣٥م).

يحنيه طول ضرابه هام الغدى حتى يُرى بيديه منه صولج(٣٣)

وقول الشاعر عبد الوهاب بن أحمد بن حزم (ت ٤٣٨هـ)

لما رأيت الهلال منطويًا فى غُرة الفجر قارن الزُّهرة

شبهته والعيان يشهد لى بصولجان أوفى لضرب كُرة(٣٤)

ومن بين الألعاب التى عرفت عند الأندلسيين ومارسوها (لعبة المخراق) وهى من ألعاب الصبيان . يقول ابن مقانا الأشبونى(٣٥) مادحًا ابن حمود الإدريسى صاحب مالقه فى مطلع القرن الخامس الهجرى :

البرق لائح من أندرين ذرفت عيناك بالماء المعين

لعبت أسيافه عارية كمخاريق بأيدى لاعبين(٣٦)

والمخاريق جمع مخراق وهو ما تلعب به الصبيان من الخرق المفتولة . والمخراق منديل أو نحوه يلوى فيضرب به ، أو هو ثوب يُلَفّ ويضرب به الصبيان بعضهم بعضًا(٣٧) .

ونجد إشارة لطيفة لدى أحد الأطباء الأندلسيين ، ينصح فيها بممارسة الرياضة ثم يقول : (وأحمد الرياضة اللعب بالكرة الصغيرة وهو آمنها)(٣٨) فهل عرف الأندلسيون اللعب بالكرة سواء كان ذلك اللعب يتم بالأيدى أو الأرجل ؟ إننا لا نستطيع الجزم بذلك مع أن أحد المشتلغبن بالرياضة فى عصرنا الحاضر أمدنا من خلال أحد كتبه بصورة تمثل أندلسيًا يلعب الكرة ويتبادل لقفها(٣٩) بيديه . ولا نستبعد ذلك لأن العرب - حتى فى فترة مبكرة من تاريخهم فى الإسلام - عرفوا الكرة وهذه الشاعرة ليلى الأخيلية فى النصف الأول من القرن الأول الهجرى تصف قطاة تدلت على فراخها فتقول :

تدلت على حصٍّ ظماء كأنها كرات غلام فى كساءٍ مؤرنب

فهى تشبه القطاة بالكرة التى كُسيت بكساء من جلد الأرنب .

ويذكر ابن منظور (ت ٧١١هـ / ١٣١١م) فى كتابه " نثار الأزهار " أن الدبوق كرة شَعَرية ترمى فى الهواء ، ثم يتلقاها الغلام ضاربًا لها تارة . بصدر قدمه، وتارة بالصفح الأيمن من ساقه اليمنى، رادًا إياها إلى العلو على الدوام(٤٠).

أما لعبة الشطرنج فكانت (٤١) من الألعاب التى شغل بها الكثير من رؤساء ووجهاء الأندلس . ومن هؤلاء عدد كبير من الأمراء الأمويين وخاصتهم من الوزراء والقادة . فممن اشتهر بلعبها والتهمم بها الأمير الأموى محمد بن عبد الرحمن بن الحكم (٢٣٨ - ٣٠٠هـ / ٨٥٢ - ٩١٢م) . ويذكر ابن حيان أن أحد فتيان الأمير ويدعى أيدون كان ماهرًا فى لعبة الشطرنج ، وأنه غلب فى ذلك الأمير وعددًا من أصحابه ، ثم انبرى له أصحاب الأمير ويدعى تمام بن عامر ،

وكان الأمير قد أقصاه عن مجلسه بسبب خلاف ، فتمكن تمام من التغلب على أيدون فى جولات متعددة ، فسُرَّ بهذا الأمير وأدناه ووصله وأعاده إلى مجالسته . وذاعت هذه القصة بين الناس فسارع الكثير من الفتيان والأدباء إلى تعلم الشطرنج، بغية الوصول إلى ما ما وصل إليه تمام . وكان من أولئك المتطلعين إلى الجاه والنفوذ ابن أخت الشاعر يحيى الغزال ، فعاب عليه خاله انشغاله ولهوه بالشطرنج وقال :

عمل فى غير برٍّ واختلاف ٍ ولزوم
إنما أسسها ويحك شيطان رجيم
هبك فيها ألعب الناس فماذا يا حكيم ؟
لعبة الشطرنج شؤم فاجتنبها يا شؤوم
فليقل ماشاء من شاء فقولى مستقيم
إنما جاءت بمهر واحد وهو وخيم
والذى ينزى عليها اليوم من يُنزى عقيم
وسيبلو صدق مافسرت فيها من يروم
إنما هى لأناس شأنهم شأن عظيم
ملك يجبى إليه أو وزير أو نديم
أو رجال ورثوا الأمـ ـوال للدهر سلوم
فادّكر ما بيد القا ئم عنها إذ يقوم
هل سوى شئ يسير من سرور لا يدوم
فإذا ما أبلغ البيـ ـت فمسحور ملوم(٤٢)

ويتضح من خلال الأبيات السابقة أن لعبة الشطرنج كانت فى الغالب لعبة الخاصة ، إذ أن العكوف عليها والاشتغال بها فيه ملهاة عن شئون الحياة الأخرى . ولا يستغرق فى لعبها إلاّ عِلية القوم وأثرياء المجتمع ، الذين يزجون أوقات فراغهم بمثل هذا اللعبة وغيرها من الألعاب . ولهذا فاشتغال العامة بها ضرب من الغباء ، لأنهم أحوج إلى الوقت المضاع .

وكان لبعض الفقهاء موقفهم الحازم من هذه اللعبة ، حتى ألّف أحدهم وهو الفقيه محمد بن الفخار المالقى ت ٧٢٣هـ/١٣٢٣م كتابًا فى تحريم الشطرنج هو (استواء النهج فى تحريم اللعب بالشطرنج)(٤٣) .

وعلى الرغم من ذم هذه اللعبة لما يترتب عليها من ضياع الوقت وتضييع المصالح والاشتغال عما ينفع المرء ، إلاّ أننا نجد هناك فئة من أهل العلم عُرف عنهم لعب الشطرنج ، بل والمهارة فى ذلك . وسوف نذكر عددًا منهم حسب الترتيب الزمنى .

فممن اشتهر بلعب الشطرنج من الخاصة أحمد بن عباس وزير زهير العامرى صاحب المرية فى عصر ملوك الطوائف ، وقد وصفه أحد جلسائه بالشغف الشديد بالشطرنج وذكر أنه أغلب الشهوات عليه وأنه فى أحد الأيام واصل اللعب بالشطرنج نهاره كله وبعض ليله(٤٤) .

وذاع صيت الوزير محمد بن عمار فى الدولة العبادية فى أشبيليه فاشتهر بالمهارة الفائقة فى لعبة الشطرنج ، ووصف بأنه (طبقة بالأندلس لا يقوم له أحد فيها) وكان المعتمد ابن عباد قد بعثة لمفاوضة الفونسو السادس ملك قشتالة الذى كان قد خرج لغزو أشبيلية وقرطبة ، فسار إليه ابن عمار لمفاوضته ، وتمكن ابن عمار عن طريق الحيلة والدهاء من إقناع الفونسو بالدخول معه فى تحدٍ على أيهما يغلب فى الشطرنج . فأخذت الفونسو العزة بالإثم ووعد بأن يهب لابن عمار ما

يشاء إذا غلبه عمار فى لعبة الشطرنج ، فلعب الاثنان وأحرز ابن عمار الظفر ، وأذعن الفونسو لمطالب ابن عمار التى تمثلت فى أن يعود عن غزو أشبيلية وقرطبة، فاستجاب الفونسو بعد أن حصل على أتاوة كبيرة من المعتمد(٤٥) .

وممن اشتهر بلعب الشطرنج من أهل العلم الطبيب الأديب أبو بكر محمد زهر الأشبيلى (ت ٥٩٠هـ ١١٩٣م) وكان هذا العلامة عارفًا بعدد من العلوم والفنون ، واشتهر إلى جانب ذلك بالبراعة فى الشطرنج(٤٦) .

وكان العلامة أبو بكر بن أبى الحسن الزهرى (ق ٧هـ) قد عرف فى مستهل حياته بالولع الشديد بلعبة الشطرنج ، حتى عرف عند الناس بالشطرنجى فكره أن يوصف بذلك ، فاشتغل بدراسة علم الطب حتى نبغ فيه وذاع صيته بالطب(٤٧) .

وممن شاع ذكره فى هذه اللعبة العلامة محمد بن عبد المنعم الصنهاجى (ق٨هـ) ، وصفه ابن الخطيب بأنه من صدور الحفاظ وأهل الصلاح ، ثم قال (طبقة فى الشطرنج يلعبها محجوبًا)(٤٨) كذلك كان معاصره الأديب الكاتب محمد بن أحمد بن قطبة الدوسى الغرناطى بارعًا فى عدد من الألعاب ، كالرماية، السباحة ، ماهرًا فى الشطرنج وكان من أصحاب ابن الخطيب(٤٩) .

ومما له صلة بالشطرنج أو قريب منه لعبة الخمسية . فإذا كان الشطرنج لعب الخاصة وأرباب الجاه والسلطة فإن لعبة الخمسية كانت لعبة العامة . ويبدو أن الفرق بين اللعبتين ومن يلعبهما كان مضرب المثل فى التمايز الطبقى فى المجتمع الأندلسى ، ولهذا يرد المثل الشعبى الأندلسى إذ يقول (لسنة الشطرنج كلعب الخمسية)(٥٠) .

مصارعة الحيوانات :

أما عن مصارعة الحيوانات فإن أول الإشارات المهمة التى تفيد أن هذا اللون من الرياضات والألعاب الخطيرة والمثيرة كان سائدًا ومألوفًا فى حياة الأندلسيين ، ما تشير إليه نقوش بعض التحف الفنية ، ومنها صندوق خشبى منسوب إلى عبد الله بن منصور العامرى ت (٣٩٢-٣٩٧هـ/١٠٠١-١٠٠٦م) ويحمل هذا الصندوق نقشًا يمثل صيادًا مقاتلاً يصارع أسدين فى وقت واحد ، ويوجه إلى أحد الأسدين طعنة برمحه فى حين يمسك الأسد أحد ساقى الرجل وينهش مؤخره . وفى ذات الوقت يكون المقاتل مشغولاً بدفع الأسد الآخر الذى يهاجمه من الأمام بدرعه . والنقش يتميز بالحيوية والإثارة .

وعلى غطاء الصندوق نفسه نقش يمثل فارسًا يطعن وحشًا فى رقبته فيلتفت برأسه فاغر الفم ألمًا وتحفزًا ، بينما تعلو وجه الفارس نشوة الظفر(٥١).

وتجدر الإشارة إلى أن مصارعة الثيران السائدة الآن فى أسبانيا ودول أمريكا اللاتينية كانت معروفة لدى الأندلسيين فى مملكة غرناطة ، إذ يذكر ابن الخطيب أن هذه اللعبة كانت منتشرة بين علية المجتمع فى غرناطة ، ويصف طريقه مصارعة الثيران بأن يطلق الثور أو البقر الوحشى كما أسماه ، وتطلق عليه كلاب اللان المتوحشة فتأخذ فى نهش جسمه وأذنيه متعلقة بها كالأقراط . والهدف من هذا هو الحد من قوة الوحش وتهذيب حركته ، وهو ما يقوم مقامة اليوم عمل رماة السهام وطاعن الرمح ، وذلك تمهيدًا للقاء المصارع . ويصف ابن الخطيب المصارع بالفروسية والإقدام ، وأنه يصارع الثور وهو ممتط فرسه المدرب ، ثم يجهزا أخيرًا على الثور بطعنة من رمحه(٥٢) وهذا اللون من المصارعة لا يزال موجودًا إلى يومنا ، ويسمى الفارس المصارع باسم رخونيا دور Rejoneador نسبة إلى الرمح القصير الذى يستعمله فى قتل الثور واسمه رخون Rejon . ويشير د / أحمد مختار العبادى إلى أن هذا النص الذى احتفظ لنا به ابن الخطيب الغرناطى

هو أقدم نص وجدناه عن هذه المصارعة المشهورة ، ونُبه إلى أن هذا النص لم يرد ذكره فى الموسوعة الكبرى التى ألفها خوسية ماريا قوسيو عن الثيران (Jose Maria Cossi: Ios Toros, 3 Tomos) (٥٣) .

وكانت مصارعة الثيران على هذه الصورة معروفة فى بلاد المغرب ، إذ يذكر ابن الخطيب أنه عندما كان لاجئًا مع سلطانه محمد الخامس ببلاد المغرب - وكان ذلك سنة ٧٦٠ - ٧٦٣هـ / ١٣٥٨ - ١٣٦١م - حضر أثناء إقامته احتفالاً لسلطان المغرب أبى عنان فارس ، وذلك بمناسبة اختتان أحد أبنائه . وكان من بين عروض الاحتفال مصارعة جرت بين ثيران وكلاب رومية . وكيف أن الكلاب كانت تهاجم الثور وتمسكه فى أذنيه بأسنانها كالأقراط ، ويصف ذلك فى شعره ومنه :

وطاردت مقدام الصوار بجارح ... يُصابُ به منه الصماخ أو الإبط

متين الشّوا فى رأسه سمهرية ... مقصرة عنهن ما ينّبت الخطُ

وقد كان ذا تاج فلما تعلقا ... بسامعتيه زانه منهما قرط(٥٤)

ولا يعلم على وجه الدقة أى القطرين : الأندلس أو المغرب كان الأسبق إلى ممارسة هذه الرياضة المثيرة ، ولكن أرجح أن الأندلس هى السابقة إلى ذلك. وقد يكون لهذه الرياضة أصل لدى الشعوب القديمة كالرومان ، ومن انتقلت إلى الأندلسيين ، وإن كانت المصادر التاريخية شحيحة بالمعلومات حول هذه اللعبة ، وذلك فى القرون الأولى من تاريخ الأندلس .

والحق يقال : إن هذه اللعبة فى صورتها التى يعمد فيها الإنسان إلى التسلى بقتل الحيوان بعد إثخانه بالجراح ، فيها ما يوحى بغرابتها عن المجتمع الإسلامى ، وما كان عليه من أخلاق تدعو إلى الرحمة والشفقة ليس بالإنسان فقط وإنما

كذلك بالحيوان . ويبدو لى أن هذا اللون من الرياضيات لم يكن معروفًا لدى الأندلسيين فى القرون الأولى ؛ وذلك عائد إلى ما كان يتحلى به المجتمع الأندلسى آنذاك من صفات وخلال أكثر التزامًا وإنسانية . ومما يؤكد ذلك أننا لم نعثر - حسب الطاقة - على نص أو معلومة تشير إلى ممارسة الأندلسيين لهذه الرياضة القاسية العنيفة ، وأن هذه الرياضة لم تعرف إلاّ فى أواخر العهد الإسلامى فى الأندلس، الذى سادفيه تدهور الأخلاق ، والبعد عن نهج الدين الإسلامى الحنيف.

ولم تكن هذه اللعبة تجرى بتلك الصورة فقط إنما كانت تتم أيضًا بصورة أخرى، وذلك بأن تكون المنازلة بين ثور وأسد . وقد شاهد أحد شعراء الأندلس وهو أبو عبد الله محمد بن جزى (ت ٧٥٧هـ/١٣٥٦م) لدى سلطان المغرب أبى عنان مصارعة بين الثور والأسد فقال ابن جزى المذكور :

لله يوم بدار الملك مربه من العجائب ما لم يجر فى خلدى
لاح الخليفة فى برج العلا قمرًا يشاهد الحرب بين الثور والأسد(٥٥)

* * *

والحديث عن مصارعة الحيوانات سواء مع الإنسان أو مع بعضها البعض يقودنا إلى الحديث عن أنواع أخرى من الألعاب التى تشارك فيها الحيوانات أو الجوارح . ومن هذه الألعاب ما تشارك فيه القردة إذ يتم تدريبها على أداء حركات رياضية تثير الدهشة والإعجاب . وكان يطلق على أصحاب هذه اللعبة (القرّادين) وكانوا يمنعون من دخول الدور والمنازل لما فى ذلك من ترويع للحوامل والأطفال(٥٦) .

وكان البعض يفضل مشاهدة القتال بين الديكة وكانت هذه اللعبة من الألعاب الشعبية ، وراجت على وجه الخصوص فى القرى والأحياء الشعبية بالمدن(٥٧) .

لعبة خيال الظل :

يجدر بنا فى البداية توضيح مفهوم هذه اللعبة وأصل منشأها ، فنشير إلى أنها تمثيلية تُستخدم الظلال فى إبراز مشاهدتها ، وذلك باستخدام شاشة من النسيج الأبيض يوضع خلفها مصدر ضوئى ، ويرفع اللاعب مجموعة من الدمى المصنوعة من الجلد أو الورق ويحركها بأصابعه المعقودة بخيوط رفيعة ، فتنعكس ظلال هذه الدمى على الشاشة البيضاء أمام المشاهدين ، وتكون مصحوبة بألحان أو حوار يلقيه اللاعب. وتعتبر الصين المهد الأول لهذا الفن إذ كان من الفنون المعروفة بها منذ القرن الحادى عشر الميلادى ، ثم انتشر منها إلى سواها فدخل البلاد العربية ومنها مصر ، التى ارتقى فيها خيال الظل ، ومنها انتشر إلى تركيا ، وبلاد البلقان، وإلى بلدان شمال أفريقيا . وقد بقى لنا من المصنفات حول هذا الفن تمثيليات الطبيب المصرى محمد دانيال ، ويُسمى كتابة (طيف الخيال)(٥٨) ، نشر المستشرق الألمانى ارلنجر ثلاثة أجزاء منه عام ١٩١٠م .

ويبدو من خلال بعض ما وصلنا من شذرات تاريخية ومعلومات محدودة أن هذه اللعبة المسلية دخلت الأندلس بصورة مبكرة نسبيًا ، وذلك منذ القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى ، إذ نجد إشارة طريفة يوردها أحد أدباء الأندلس وهو عمر بن الشهيد التجيبى وكان حيًا سنة (٤٤٠هـ/١٠٤٨م) وذلك فى مقامة أدبية يقول فيها : (وصلنا إلى منزل بدوى ذى هيئة وزى ... فهش وبش ، وكنس منزلة ورش ... ثم مال بنا إلى بيت مُكنس ، منوع مجنّس ، قد جلّله حصرًا بلدية وغشاه بُسطًا بدوية ، ومد فيه شرائط وحبالاً كأنه يريد أن يخرج خيالاً ...(٥٩) .

وما من شك فى أنه هنا يعنى خيال الظل . وقد تكون هذه اللعبه قد انتقلت فى مرحلة من مبكرة من العراق أو مصر إلى الأندلس . وربما كان ناقلها أحد الأندلسيين المترددين على المشرق ، أو قد يكون ذلك على يد أحد المشارقة .

وليس هذا بغريب فكثير من التأثيرات الاجتماعية التى كـانت سـائدة فـى المشـرق انتقلت إلى المغرب ، والأندلس ، ولنا فى قصة زرياب وانتقاله إلى الأندلس وتأثيره فى الحياة الاجتماعية أبلغ دليل . ونقع على اسم أحد الوافدين المصريين ، ويدعى أبو القاسم الخيالى ، وقد وصل إلى قرطبة فى القرن الرابع الهجرى ، وقـد يكـون لقبه المذكور له صلة بحرفته حول لعبة الخيال ، مع أننا لا نملك نصًـا واضحًـا يفيـد ذلك، وإن كان هناك ما يشير إلى أحدى جواريه وتدعى بستان كانت من بين من استدعا هن الخليفة محمد بن هشام لتسليته وبجونه(٦٠) .

ونجد فى أزجال ابن قزمان إشارات مهمة إلى هذه اللعبة ، تفيد أنها شاعت فى أوساط المجتمع الأندلسى ، ففى إحد أزجاله يقول :

ليس على قميـص ذاب إلا قميصـًا مرقـــع
وطويشـــر غفـــاره الُطّـــر كلٌ مقطـــع
سـل لـو كانِ لعنقـــى أو كان على رأس قُنْزع
(بابه) كنت أنا نرقص فى لعبـــة القليـــانى

ويشير عبد العزيز الأهوانى إلى أن الكلمة التى لم تنقط فـى أول القفـل هـى (بابه) وهى لفظة اصطلاحية تستخدم فى لعبة (خيال الظل) ، ويراد بهـا الفصـل أو المشهد من تمثيلية خيال الظل . ويدل النـص علـى أن هـذه اللعبـة عرفـت عنـد الأندلسيين (بلعبة القليانى) ووصف لباسه بالمهلهل والممزق يـدل علـى أن اللعبـة فى الأندلس مثلما كانت فى الشرق تعتمد على الهزل والإضحاك(٦١) .

والقليانى قد تكـون نسبة إلى أحـد الخيـاليين المـاهرين ومنسـوب إلى قليانـة Juliana (جليانة) وهى بلدة من أعمال وادى آش إلى الجنوب من غرناطة .

وإضافة إلى ما سبق نجد لمحات محدودة عن لعبة خيال الظل فى أشعار بعـض الأندلسيين وبعض رسائلهم ، ففى ديوان أبى الحسـن الششـترى يقـول فـى زجلـه الذى جعل فى قفلة :

(وما الناس إلاّ كما الخيال فانظر إلى ماسك الصور)

وهى إشارة واضحة إلى لعبة خيال الظل ، وأن الدنيا بمن فيها من أناس وما قدر لهم من حياة وسعى وحركة ، ما هم إلاّ كالدمى التى يحركها لاعب الخيال ، ثم يزول كل ذلك ويفنى . وإلى مثل هذا المعنى أشار الشاعر المملوكى ضياء الدين بن عبد الكريم حيث قال :

تجئ وتمضى بابة بعد بابه وتفنى جميعًا والمحرك باق(٦٢)

وهناك إشارات للعبة الخيال فى رسائل أبى عبد الله محمد بن عباد الرندى وهو من أعلام الزهد فى الأندلس وكان حيًا فى القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى(٦٣) .

* * *

ألعاب تقوم على المهارات الحركية :

كان من بين الألعاب التى استحوذت على اهتمام الأندلسيين ، وأثارت إعجابهم تلك الألعاب التى يؤديها بعض الأشخاص من ذوى المهارات والأداء المتميز . ويشبه هؤلاء فى عصرنا الحاضر ما يطلق عليه البهلوان ، الذى يشاهد فى السيرك وهو يقوم بأداء حركات تثير إعجاب النظارة . وفى ديوان ابن الخطيب أبيات شعرية طريفة يصف فيها أحدهم وهو يتلاعب على الحبل ويتدلى منه حينًا ، ويرتقى حينًا آخر بين حركة سريعة ، وثبات عجيب :

وبحرى تلاعب فى شريط وجئ الفعل متصل الصّموت

تدلى وارتقى وسما وأهوى فأعجب فى التماسك والثبوت

فقلنا إن يكن بشرًا سويًا ففيه غريزة من عنكبوت

يشير د. محمد بن شريفة إلى هذه الأبيات ويقول تعليقًا عليها : إن كلمة بحرى التى وردت فى أول البيت الأول (إنما هى تحريف لكلمة غجرى نسبة إلى الغجر المعروفين فى الأندلس)(٦٤) ولكن الباحث يستبعد ذلك ، لأنه لو حلّ لفظ غجرى محل بحرى لاختل وزن البيت ، إذ لو قطّعنا كلمة بحرى حسب العروض لكانت على هذا النحو : وحرى ، وغجرى(٦٥) .

وبالتالى لا نطمئن إلى تعليل الأستاذ ابن شريفة . فضلاً عن أن لفظ غجرى فيما يبدو لى لم يكن معروفًا عند الأندلسيين وإنما كان ذلك فى القرون التى اعقبت خروج المسلمين من الأندلس .

ويصف الشاعر الغرناطى محمد بن يوسف بن زُمرَك (ت ٧٩٦هـ/ ١٣٩٣م) أحد اللاعبين المهره وهو يؤدى حركاته المثيرة على الحبل فيقول :

ومنوع الحركات قد ركب الهوا ... يمشى على خط به متوهم

فإذا هوى من وجوه ثم استوى ... أبصرت طيرًا حل صورة آدميَ

يمشى على فنن الرشاء كأنه ... فيه مساور ذابل أو أرقم

وقد أطلق فى الأندلس على من يحترف هذه الألعاب ويؤديها بمهارة وبراعة [العجائبى] وذلك لما يثيره من دهشة وإعجاب المشاهدين .

وكان هذا الشخص يؤدى ألعابًا مختلفة ، من بينها اللعبة المشار إليها وهى اللعب على الحبال . وقد احتفظ لنا أبو المطرف بن عميرة بوصف نادر وطريف لأحد هؤلاء العجائبيين وهو يلعب بالصحائف فارغة ومليئة بالماء ، فيقذفها فى الهواء ويتلقاها بيديه فى حركات عجيبة ، ومهارات بارعة . ويقول ابن عميرة : (هذا ولإحدهما وصف يزيد على الأوصاف ، وعمل هو المشار إليه فى الصحاف ، تصفُّ له فى مداره ، وتلقى بمجال إقباله إدباره . فيأخذها بأصبعين ويديرها لرأى العين ، فترى عجبًا من نصب وإماله ، وإثبات وإزالة ، واتساق بغير قد ، والصاق

دون ود ، وربما أكفأها فى الهواء ، وقد غمرها بالماء ، فتحسبه جمد فما يقطر ، أو عاد سرابًا فى عين من ينظر ، ويمر بها فيجعلها تحت ذيله ، ثم يقتلعها بجملة سيله فيفقدها العيان ، ويخلى منها المكان ، ويخلع الثياب لا أثير هناك ، وينزع السراويل فلا زيادة على تلك وذاك، فإذا استوفى فى بعض جوانبه ، وقضى وطرًا من عجائبه ، ارتج من الأمام والوارء وقام عنها كتاركة بيضها بالعراء) . ومن مهاراته الحركية وألعابه المدهشة ما يقوم على اللعب بالنار فيقول : (ويؤتى بالنار وحرها مرهوب ولهيبها مشبوب ، فيودعها ذاك المستودع ، ويبدع فى شأنها فوق ما أبدع) وفى طور آخر يلعب بقلال الماء ، (وربما وضعت له القلة بمائها ، فلا ترى أعجب من إخفائها يختطفها اختطافًا وقد هزَّ منها أعطافًا وركَّب فوقها صحافًا فيحمل منها جنينًا حش(٦٦) ، ودفينًا يأمن النبش ثم يقوم عنها عجلان ، ويترك شخصها كما كان ، وهذا خلال نغمات حسان سماعية وهيآت إيقاعية) .

ولهذا العجائبى ألعاب يؤديها بصحبة أحد أصحابه ، تقوم على أداء حركات بارعة يستخدم فيها العمائم والملابس (ولهما فى مركز المدار ، وموقف الاختيار ، نشروطى ونشر للعمائم ولى ، وربما أعدها بعد إلقاء ، وقلبا الثياب لغير استسقاء ، فيرجع الطالع آفلا ، ثم يعود العالى سافلاً ...)(٦٧) .

وهكذا يتبين لنا أن هذه الألعاب التى تقوم على البراعة والمهارة فى الأداء والحركة بالأرجل والأيدى والأصابع ، وتستخدم فيها وسائل متعددة من أوان وحبال وعمائم وقلل وغيرها مما نشاهده حاليًا فى السيرك أو غيره ، نقول إن هذه الألعاب كانت تستقطب جمهورًا كبيرًا من الناس وكانت فى مقدمة وسائل التسلية والمتعة لديهم .

ولعل من أهم الدلائل التى تشير إلى ولع الناس بمثل هذه الألعاب أن صاحبها وهو العجبائى لا يزال له ذكر ووجود فى بعض بلدان المغرب ، بل إن

بعض الألعاب التى أشرنا إليها لا تزال تعرض فى ساحة جامع الفناء بمدينة مراكش(٦٨) .

ونظرًا لخفة ورشاقة العجبائى أثناء تأديته إحدى ألعابه فقد أطلق عليه (الزريزير) وهو اسم طائر عرف حركته وسرعته فى القفز(٦٩) .

ومما له صلة بمثل هذه الألعاب أولئك الذين يقومون بحركات تدعو إلى الضحك والتسلية . ويرتدى أحدهم فى سبيل ذلك ثيابًا مناسبة لدوره ، وربما وضع له شعرًا كثيفًا على حاجبيه وشاربه وعلى رأسه قلنسوة ، وهو أشبه فى عصرنا الحاضر بما يسمى (المهرج) الذى يؤدى دوره أمام الجمهور سواء فى السيرك أو المسرح . وقد أمدنا ابن بسام بمعلومات طريفة حول أحدهم وما يقوم به من حركات مضحكة(٧٠) .

وقد نبّه السقطى إلى عدم ترك أمثال هؤلاء المهذرجين والمهذرين يمارسون ألعابهم وحركاتهم إلا فى الشوارع السالكة والساحات العامة(٧١) .

* * *

المنتزهات :

ومن وسائل التسلية التى عرفها المجتمع الأندلسى خروج الناس إلى المنتزهات. وبلاد الأندلس من البلدان التى اشتهرت بجمال طبيعتها ، وخاصة فى الجزء الأوسط الجنوبى . وبطبيعة الحال توفر لأهلها عدد من مواضع النزهة والفرجة . وكان أمراء وخلفاء بنى أمية ، ومن تبعهم من الملوك والسلاطين لهم جناتهم وبساتينهم التى يقضون بها كثيرًا من الوقت طلبًا للمتعة والترويح . وكان أول أمراء بنى أمية ومؤسس ملكهم بالأندلس عبد الرحمن بن معاوية بن هشام – المعروف بالداخل – قد اتخذ له جنانًا وبساتين فى منية الرصافة بقرطبة. وحدث عندما نظر منها إلى نخلة أن هاجت شجونه فقال :

تبـــدت لنـــا وســـط الرصـــافة نخلـة تناءت بأرض الغـرب عن بلـد النخل
فقلـت شـبيهى فى التغـرب والنـوى وطـول التنـاءى عـن بُنّى وعن أهلـى
إلـــــــخ .....(٧٢) .

وفى عصر الخلافة الأموية – على عهد الخليفة الحكـم المستنصر (٣٥٠ – ٣٦٦هـ / ٩٦١ – ٩٧٦م) أهدى أحد الفتيان الصقالبة – ويدعـى درى الأصغـر – إلى الخليفة الحكم بستانًا عرف بالرمانية . وكان درى هذا قد بالغ فى العناية بـه وزراعة مختلف أنواع الأشجار والأزهار فيه ، حتى غدا فى أبهى صورة ووضع فيه أنواعًا من الحيوانات ، ثم قدَّمه هداية للخليفة فقبله ، وعهد إليه بالقيام عليـه . ثـم دعاه درى لإستضافته فى البستان ، فسار إليه الخليفة بحاشيته، وقد أبدى درى مـن ضروب الضيافة والإكرام للخليفة ما عمَّ ذكره ، وأجمـع مـن حضـر تلـك المناسـبة أنهم لم يشاهدوا فى المنتزهات السلطانية أكمل مما رأوه(٧٣) .

وهذه صورة من صور التنزه والفرجة لدى الطبقة الحاكمة آنذاك . ونكتفـى بها لنركز الضوء أكثر على ما يتصل بالرعية وأفراد المجتمع الأندلسى ، وذلـك لأن طبقة الخاصة كان لها منتزهاتها الخاصـة الملحقـة بـالقصور والـدور ، ممـا لا سـبيل لعامة الناس إليه .

فمن أشهر المنتزهات الشعبية ما عرف بحصن الحمة ، وهو من مدينة بجانة . وفى هذا الموضع عين ماء يقصدها الناس للاستشفاء . وكان أهل المريـة يقصـدون ذلك الموضع فى أيام الربيع مصطحبين معهم نساءهم وأولادهم ، ويتزودون خلال ذلك بألوان الطعام والشراب . ونظرًا لكثافة من يقصدها من المتنزهين ، فإن أسعار المساكن وايجاراتها ترتفع خلال ذلك بصورة كبيرة(٧٤) .

وكانت مدينة سرقسطة من أجمل مدن الأندلس حتى قال ابن سعيد : (ولا نعلم فى الأندلس مدينة يحدق بها أربعة أنهار سواها ، وكـأن كـل جهـة تغـايرت

على اتحافها فأهدت إليها نهرًا يلثم من أعطافها ، وأشهرها نهر جلق ، وشرب موسى بن نصير فاتح الأندلس من ماء نهر جلق فاستعذبه وحكم أنه لم يشرب بالأندلس ماء أعذب منه ، وشبَّه ما عليه من البساتين بغوطة دمشق ، ... ومن متفرجاتها الحلقين ، ووادى الزيتون)(٧٥) .

واشتهرت مدينة أشبيلية بمتنزهاتها ، ومنها مرج الفضة ، والعروس ، والسلطانية ، وشنتبوس. وكانت المتفرجات والمتنزهات مقصدًا للناس فى أعيادهم، وأيام سرورهم ، ويجدون بين خمائلها وطبيعتها الخلابة المتعة والسرور(٧٦) .

واشتهر وادى العسل فى الجزيرة الخضراء بجمال طبيعته وكثرة بساتينه .

* * *

الألعاب التى حظرها المحتسب لما بها من الخداع والاحتيال :

كان للقائمين على الاحتساب دور بالغ فى مراقبة أصحاب الألعاب ، والمشتغلين بألوان اللهو الذى يقوم على الخداع أو السحر ، فسعوا إلى محاربة أصحابها ، ومنهم أهل التخيل : (الذى يظهر أنه شيئًا من غير فعله ويخيل بمثل النواريج(٧٧) وقلب العين ، والسندى(٧٨) الذى يهيج نفسه عن القدر ينهى عن ذلك وإلا أُدَّب(٧٩) .

وينهى السقطى عن ترك المبهرجين والمهذرين يمارسون ألعابهم وحركاتهم إلا فى الشوارع السالكة ، وعند تجمعات الناس(٨٠) .

وكان هناك من أصحاب الألعاب من يستخدم فى ألعابه الحيات والعقارب، ومنهم من يعمد إلى المرآة فيضعها تحت الشمس فتحرق ما تحتها ، ويستغلون ذلك فى خداع السذج من العامة ، فكانوا يمنعون من ذلك(٨١) .

ويبدو أن من الألعاب الشعبية التى عرفت لدى الأندلسيين وخاصة أيام الأفراح والمواسم ما يفعله الصبيان من رش الأسواق والشوارع بالماء ، ليكون سببًا فى تزليق ، الناس والضحك عليهم ، فنهى المحتسب عن ذلك(٨٢) .

ومن بين الألعاب التى نهى المحتسب عنها لما قد تجر إليه من أذى وضرر الألعاب التى يُلعب فيها بالمقارع والعصى فى الشوارع(٨٣) .

الأعياد ومظاهر التسلية والترفيه :

كان من الطبيعى أن يحتفل الأندلسيون بعيدى الفطر والأضحى ، ولكنهم ابتدعوا أعيادًا ومواسم يحتفلون فيها ، ويتخذونها وسيلة للتسلية والابتهاج . وقد زَلَّ كثير منهم فى مشاركة أهل الذمة فى أعيادهم ومناسباتهم ، ومنها عيد يناير ، وفيه يصنعون ألوان الحلوى التى يعملونها على شكل مدن صغيرة ذات أسوار(٨٤).

ومن أشهر المناسبات التى يشارك فيها الأندلسيون النصارى ما يُسمى بعيد العنصرة أو المهرجان ، ويأتى فى اليوم الرابع والعشرين من حزيران ، وهو اليوم الذى زعموا أن يحيى بن زكريا ولد فيه . وقد اشتهر بشعلة النار التى كانوا ينصبونها ويقفزون فوقها . وورد فى أمثالهم الشعبية : (الكبش المصوّف ما يكفز (ما يقفز) العنصرة)(٨٥) .

وفى هذا اليوم يعمد الأطفال والصبيان إلى رش الشوارع والأسواق بالماء ، ويلعبون بالمقارع والعصى ، وكان فى ذلك ما يسبب الأذى للمارة ، فشدد المحتسب على منعه(٨٦) .

وكان الناس يلبسون فى هذا العيد الثياب ذات اللون الأبيض . وكان الفنان زرياب هو الذى سَنَّ هذا اللون لهم(٨٧) .

ويبدو أن هذا العيد ، أو ما يعرف بيوم المهرجان ، كان مشهورًا لدى الأندلسين . وتمدنا كتب الأدب بالكثير من النصوص والأشعار التى نظمها الأدباء والشعراء حول هذا الموسم . من ذلك ما قاله الشاعر أبو بكر الدانى (ت٥٠٧هـ/ ١١٧٤م) واصفًا مشاركة الأسطول الاحتفال بيوم المهرجان :

بشـــرى بيـــوم المهرجـــان فإنـــه يـــوم عليـــه مـــن احتفـــائك رونق

طـــارت بنـــات المـــاء فيه وريشها ريش الغراب وغير ذلك شـوذق(٨٨)

ويقول الشاعر عبد الرحمن بن عثمان الأصم(منتصف القرن الرابع الهجرى):

أرى المهرجـــان قـــد استبشـــرا غـــداة بكـــى المـــزن واستعـــبرا

وســـربلت الأرض أفوافهـــــا وجللت الســـندس الأخضـــرا

وَهَـــزَّ بـــه الريـــاح صنابيرهـــا فضـــوّعت المســـك والعنـــبرا

تهـــادى بـــه النـــاس ألطافهم وســـامى المقـــلُ بـــه المكثـــرا(٨٩)

وكان من بين الألعاب التى يمارسها الناس يوم المهرجان سباق الخيل . يقول الشاعر عبد العزيز بن الخطيب وكان مسجوناً فى يوم المهرجان :

رويـدك أيهـا الشـوق المذكّـى لنـــار صبـــابتى بالمهرجـــان

لقـــد أذكـــرت منى غـير نـاس وهجـــت لـى الصـبابة غـيروان

أيـــوم المهرجان أعـــذر فحـالى تراهـــا فى البـــلاء كما ترانى

ولـــو لم يثننـــى طبـــق وقيـــد لرحت وقيّد لى قصب الرهان(٩٠)

وما من شك أن هذه الأعياد والمواسم ليست مما شرع للمسلمين ، بل تـأثر هؤلاء بأهل الذمة بحكـم المجاورة والاختلاط . وقد بلغ الأمر بتقليد النصارى ومشاركتهم هذه الأعياد مدى خطيرًا نبه الفقهاء والعلمـاء إلى ذلـك ، ودعـوا إلى نبذ هذه العادات وعدم التشبه بالنصارى . ومن هؤلاء العلماء عبد الملك بن حبيب الذى ذم تقليد النصارى . ويحيى بن عمر الذى نهى عن اجراء الخيل ورش الماء فى يوم المهرجان . وأكبر من تصدى لهذا الظاهرة الفقيه محمد بن وضاح الذى صنـف

كتابًا أسماه (البدع والنهى عنها) حمل فيها على مجاراة النصارى وتقليدهم فى أفراحهم وأعيادهم(٩١) .

ومن العادات التى اشتهر بها أهل غرناطة خروجهم فى موسم جنى العنب إلى المنتزهات ، والمروج الخضراء وهم يلبسون أبهى الثياب والأزياء، ويظلون عدة أيام فى نزهة وتسلية مع أخذ الحيطة والحذر من عدوان النصارى عليهم(٩٢) .

وكان لأهل الجزيرة الخضراء جنانًا وبساتين على ضفافه ، وكان مقصدهم للتنزه ونيل أونقات من الراحة والاستجمام(٩٣) .

واشتهرت مدينة غرناطة بمنتزهاتها الرائعة ، وخاصة ما أطلق عليه فحص غرناطة La Vega de Granada . وقد شبه هذا الفحص أو المرج بغوطة دمشق، فوصف بكثرة جداوله وكثافة روضاته وجناته ، وكان فى غاية الجمال والنضارة يقصده الناس للتنزه ، وكان أكثر ذلك فى ليالى الصيف(٩٤) .

وكان أهالى غرناطة يخرجون للتنزه فى موسم نضج العنب ، ويقصدون المروج الخضراء وضفاف الأنهار ، وخاصة نهر شنيل ، الذى ولع الشعراء بوصفه وما عليه من البساتين والرياض ، وفيه قال أبو الحجاج يوسف بن سعيد :

أحنّ إلى غرناطة كلما هفت ... نسيم الصبا تهدى الجوى وتشوق

سقى الله غرناطة كل منهل ... بمنهل سحب ماؤهن هريق

وما شاقنى إلا نضارة منظر ... وبهجة وادٍ للعيون تسروق

تأمل إذا أملت حوز مؤمل ... ومُدّ من الحمرا عليك شقيق

وأعلام نجد والسبيكة قد علت ... وللشفق الأعلى تلوحُ بروق

وقد سلّ شنيل فرندًا مهندًا ... نضى فوق در ذُزّ فيه عقيق

إذا نم منه طيب نشر أراكه ... أراك فتيت المسك وهو فتيق

ومهما بكى جفن الغمام تبسمت ثغـور أقـاح للريـاض أنيـق(٩٥)

ولـو تتبعنـا أمـاكن التـنزه ومواضـع الفرجـة عنـد أهـل الأندلـس لطـال بنـا الحديث؛ لأن بلاد الأندلس - كما سبق - كانت فـى مجملهـا مـن أجمـل البلـدان وأخلبها طبيعة ، فلا يعدم أهلها حينـذاك أن يجـدوا فـى كـل ناحيـة منهـا موضعًـا يقصدونه للمتعة وجلب السرور .

سرد القصص والحكايات :

ومن وسائل التسلية التـى عرفهـا الأندلسـيون سـرد القصـص والحكايـات . وتشير كتب التاريخ إلى ولع كثير من الخلفاء والحكام بالقصص ، فاتخذوا لهـم مـن أربـاب الأخبـار والتـاريخ والأدب مـن يقومـون بسـرد نـوادر الأخبـار وطرائـف الحكايات والآثار . ويهمنا ما يتصل بالأندلس:

ففى العهد الأموى كان الأمراء والخلفاء يقربون فى مجالسهم ومنتدياتهم وأسمارهم أصحاب النوادر والقصص والآثار ، ويقضون معهم سـاعات عديـدة كل ليلة ، يتسامرون ويتذاكرون طرائف الأخبار ونوادر الحكايات والقصص . واشتهر من هؤلاء الذين حظوا بمكانـة لـدى أمـراء بنـى أميـة : يحيـى الغـزال ، وعباس بن فرناس ، وذلك على عهدى الأمير الحكم الربضى وابنه عبد الرحمن الأوسط ، كما اشـتهر الأديـب الفنـان زريـاب بنـوادره وطرائفـه التـى أثـارت إعجاب الأمير عبد الرحمن الأوسط ورعيته(٩٦) .

وعلى عهد الخلافـة الأمويـة كـان الخليفـة النـاصر مولعًـا بالتـاريخ وأخبـار الأوائل ، فأهداه إمبراطور القسطنطينية كتاب أورسـيوس فـى تـاريخ العـالم(٩٧) . وأما ابنه الحكم المستنصر فكان يجد متعته فى قراءة الكتب ومطالعتها ومجالسة أهـل العلم والأدب والتاريخ(٩٨) .

وكان الحاجب المنصور بن أبى عامر (٣٦٦ - ٣٩٣هـ / ٩٧٦ - ١٠٠٢م) مولعًا بالأدب والنوادر والقصص والحكايات فصنف له الأديب صاعد بن الحسن كتاب " الفصوص " فى الأدب ، وفى الحكايات كتابى (الهجفجف ابن عدقان بن يثربى مع الخنوت بنت مخرمة بن أنيف) و(كتاب الجواس بن قعطل المذحجى مع ابنة عمه عفراء) . وقد أثنى حزم الظاهرى على الكتاب الأخير ووصفه بالملاحة ، وأن المنصور كان شغوفًا به حتى رتب له من يخرجه أمامه فى كل ليلة(٦٩) .

وألف الأديب حسان بن مالك للمنصور بن أبى عامر كتابًا اسماه (ربيعة وعقيل) وكان سبب تصنيفه أنه دخل على المنصور وبين يديه كتاب من كتب السمر لأحد أدباء المشرق ، فخرج حسان إلى داره واعتكف على تصنيف كتابه المذكور ، فجاء به بعد أسبوع وقدمه للمنصور فكافأه عليه وأجزل صلته(١٠٠) .

وكان من أشهر القصاصين والأخباريين أبو أيوب بن حجاج (ت٣٣٨هـ/ ٩٤٩م) وصف بسعة حفظه للأخبار القديمة ، وبراعته فى عرضها ، وحسن سردها(١٠١) . وكان أبو عبد الله الغابى من أحفظ الناس لأخبار أهل الأندلس ، وآدابهم وما دار بينهم من الأخبار والفكاهات ، وكان يفد على الخليفة عبد الرحمن الناصر فيجد لديه كل برّ وإكرام(١٠٢) .

ومن الطريف تأثر حكام أسبانيا النصرانية بالعرب فى هذا الجانب ، فقد أشار المؤرخون إلى ولع السيد القمبيطور بالقصص العربية ، وكان معجبًا بسيرة المهلب بن أبى صفرة ، وحروبه ، كثير التطلع والسؤال عن أخباره ، وقصصه مع أعدائه(١٠٣) .

وكان القصاصون يتخذون لهم مواضع فى الأسواق والساحات . وقد نهى المحتسب بعضهم عن سرد القصص والحكايات التى يسندونها إلى النبى ﷺ ،

وذلك لجهلهم ، وكذبهم ، وزياداتهم ، وأباح لهم أن يرووا القصص عن بنى اسرائيل(١٠٤) .

ولا يتسع المجال لسرد أسماء البارزين من القصاصين وأصحاب السير والأخبار، إذ تحفل كتب التراجم بأعداد كبيرة من هؤلاء(١٠٥) .

الخـــاتمة :

وأخيرًا فهذه أبرز وسائل التسلية التى عرفها الأندلسيون فى تاريخهم الاجتماعى . وما من شك فى أن بعض هذه الوسائل كانت معروفة منذ القدم عند العرب ، ومنها رياضة الصيد وبعض ألعاب الفروسية كسباق الخيل والمبارزة وغيرها ، كما أن فيها من الألعاب ما نقله الأندلسيون عن غيرهم من الشعوب ، ومنها لعبة الشطرنج وهى لعبة فارسية ، نقلها العرب عنهم أدخلوها معهم إلى الأندلس . ومثل ذلك خيال الظل وهى - كما مرَّ - من الألعاب التى نقلها المسلمون عن الصينيين ، ومن ثم انتشرت فى أقطار العالم الإسلامى ، ومنها الأندلس . ولا نعلم على وجه اليقين ما يتصل بتاريخ لعبة بمصارعة الثيران وما إذا كان الأندلسيون هم الذين ابتكروها ، أم كان ذلك من تأثير حضارة أخرى . وفى هذا كله ما يدل دلالة واضحة على الامتزاج الحضارى الذى انصهر فى بوتقة الحضارة الأندلسية ، فكان الأندلس - كأى قطرفى الدولة الإسلامية - صاحبت حضارته وحياة الأفراد فيه ظواهر اجتماعية مختلفة ، راوحت بين التأثر والتأثير . ومثلما تأثر الأندلسيون بغيرهم من الشعوب أثروا أيضًا فيهم من خلال ألعابهم التى اشتهروا بمزاولتها فى المجتمعات والأقطار الأخرى ، ونعنى بها رياضة مصارعة الثيران ، التى تعد من أشهر الألعاب إن لم تكن أشهرها فى أسبانيا ودول أمريكا الوسطى والجنوبية ، هذا على الرغم من تحفظنا إزاء تلك اللعبة التى تفتقر إلى الرحمة والشفقة بالحيوان .

وبعد فهذه لوحة اجتماعية أردنا تقديمها عن جانب مهم فى حياة الأندلسيين ، ونمط سلوكهم الفكه ، وطرائفهم المختلفة للترويح عن أنفسهم ، وإبعاد السأم والملل عنها ، وذلك على الرغم من تاريخهم المليء بالأحداث والوقائع المؤلمة ، سواء على مستوى الجبهة الداخلية وما حفل به تاريخ الأندلس من تعاقب الحكام والدول وما تخلل ذلك من قلاقل وفتن ، أو على مستوى الجبهة الخارجية المتمثل فى استفحال القوى النصرانية تحفزها للعدوان .

الهوامش

(١) نذكر فى هذا الصدد أن الحرب التى اندلعت بين عبس وذبيان والتى عرفت بحرب داحس والغبراء كانت سبب اتهام المتسابقين لبعضهم بالغش فى نتيجة السباق بين داحس وهو حصان لقيس بن زهير والغبراء وهى فرس لحذيفة بن بدر (انظر ، ابو عبيدة ، أيام العرب ، جمع وتحقيق عادل جاسم / ١٤٨ وما بعدها .

(٢) انظر الحميدى ، جذوة المقتبس / ٢٨٩ - عبادة كحلية ، تاريخ النصارى فى الأندلس . / ١٧٦

(٣) ابن عبد الرؤوف : آداب الحسبة والمحتسب / ١١٣

(٤) ابن حيان : المقتبس ، تحقيق عبد الرحمن الحيجى / ١٩٣

(٥) البيان المغرب . ج ٢/٢٢٢

(٦) المن بالإمامة / ٢١٥

(٧) ابن صاحب الصلاة . المن بالإمامة ، ٣٤٣

(٨) المصدر نفسه والصفحة حاشية رقم (١) .

(٩) اللمحة البدرية / ٩٠

(١٠) المقرى : نفخ الطيب ج ١٧٤/٧

(١١) يوسف شكرى ، غرناطة فى ظل بنى الأحمر / ١٣٦

(١٢) الإحاطة ، ج٢ / ٢٥٠

(١٣) السيد عبد العزيز سالم (صور من المجتمع الأندلسى) مقال بمجلة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ج١٩/٧٢-٧٣

(١٤) ابن عذارى . البيان المغرب ج٢/١٥٩و٢٥٩

(١٥) ابن جلجل ، طبقات الأطباء . تحقيق فؤاد سيد /١٠٧ - ابن حيان ، المقتبس ، ج٥/٤٧١

(١٦) ابن عذارى , البيان الغرب ج ٦٦/٢

(١٧) ابن عذارى . المصدر السابق ج ٦٣/٢

(١٨) السيد عبد العزيز (صور من المجمع الأندلسى) مقال بمجلة الدراسات الإسلامية بمدريد ص٧٢

(١٩) المقر ، نفح الطيب ج ٢٠٨/١

(٢٠) المقرى ، المصدر نفسه ج ١٩٨/١ . وبحر الروم هو البحر الأبيض المتوسط .

(٢١) البرك . جمع البركة . طائر مائى صغير أبيض . انظر (لسان العرب مادة : برك) .

(٢٢) ابن بسام ، الذخيرة ق١ ، ج٦٨٣/٢ والتوديج الفصد انظر الصفحة المذكورة ح رقم٤ ، انظر أيضًا وسالة طردية فى صيد الظباء لأبى عبد الله محمد بن الخناط فى خريدة القصر ج٢٩٧/٢-٢٩٨

(٢٣) انظر السيد عبد العزيز سالم : المقال السابق /٧٢-٧٣

(٢٤) الأصفهانى خريدة القصر ج٢/ ٣٠٢-٣٠٣

(٢٥) السيد عبد العزيز سالم . صور من المجتمع الأندلسى ٧٨

(٢٦) ابن الخطيب ، الإحاطة ج٢١٥/٣ وكان أخوه أحمد مولعًا بالصيد انظر المقرى ، النفح ج٤ / ١٨٠-١٨١

(٢٧) انظر على سبيل المثال المقرى ، أزهار الرياض ، ج٢ /١٠٥-١٠٦

(٢٨) يوسف شكرى ، مرجع سبق ذكره ١٣٦

(٢٩) انظر السيد عبد العزيز سالم ، صور من المجتمع الأندلسى ٧٤ وما بعدها .

(٣٠) السيد عبد العزيز سالم ، صور من المجتمع الأندلسى / ٧٩

(٣١) أمين الخولى . الرياضة والحضارة الإسلامية / ٢٨٤

(٣٢) انظر ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج٢ / ٧٩

(٣٣) ابن سعيد ، المغرب فى حلى المغرب ، ج٣٢٨/٢

(٣٤) ابن بشكوال ، الصلة ، ج٢ / ٣٨١

(٣٥) نسبة إلى مدينة أشبونه وهى لشبونه عاصمة البرتغال حاليًا .

(٣٦) ابن بسام ، الذخيرة ق٢ . ج٢ / ٧٨٦ وما بعدها .

(٣٧) انظر لسان العرب . مادة خرق .

(٣٨) بن زهر ، كتاب الأغذية ١١٤

(٣٩) أمين الخولى ، الرياضة والحضارة الإسلامية ٢٧٢

(٤٠) أمين الخولى ، نفس المرجع / ٣٠٠

(٤١) شرح المسعودى ما هية هذه اللعبة وصفتها وآلاتها ، للوقوف على ذلك ، انظر مروج الذهب ج٤ / ٣٢٥

(٤٢) المقتبس . تحقيق محمود مكى ١٨٠ - ١٨١ وما بعدها .

(٤٣) ابن الخطيب ، الإحاطة ج٣ / ٩٤

(٤٤) ابن بسام ، الذخيرة ق١ ج١ ٢/ ٦٦٧

(٤٥) المراكشى ، المعجب / ١٧٩

(٤٦) ابن أبى أصيبعة . عيون الأنباء / ٥٢٢

(٤٧) ابن أبى صعيبة - نفس المصدر / ٥٣٦

(٤٨) الإحاطة ج٣ / ١٣٤

(٤٩) ابن الخطيب ، الإحاطة ج٢ / ٢٥٠

(٥٠) انظر الزحالى ، أمثال العولم ق١ ، ص٢٥٦

(٥١) السيد عبد العزيز سالم ، صور من المجتمع الندلسى ، (بحث مبجلة معهد الدراسات الإسلامية فى مدريد مج١٩ ١٩٧٦ - ١٩٧٨ ص٧٨

(٥٢) أشار إلى هذا النص د. أحمد مختار العبادى نقلاً عن ابن الخطيب . الإحاطة (نسخة الاسكوريال لوحة ٤٤١) .

(٥٣) انظر أحمد مختار العبادى / مشاهدات لسان الدين بن الخطيب فى بلاد المغرب والأندلس ٦/٠ حاشية رقم (١) .

(٥٤) انظر المقرى . نفح الطيب ج ٦/ ٤٥٩ - ٤٦٠ وما بعدها .

(٥٥) المقرى . النفح ج٥ / ٥٣٠ - ٥٣١

عرفت المصارعة بين الحيوانات فى الشرق فيُذكر أن المعتز (منتصف القرن الثالث) الهجرى كان يحب مشاهد العراك بين الحيوانات وكان يدعو ضيوفه لمشاهدة العراك بين الأسد والفيل (انظر آدم متز) الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى ٢/٢٦٤ .

(٥٦) الجريسفى . رسالة فى الحبسة ١٢٣ - ١٢٤

(٥٧) شكرى ، غرناطة فى ظل بنى الأحمر ١٣٧

(٥٨) انظر أحمد عطية الله ، القاموس الإسلامى ج٣ / ٣٠٦ - ٣٠٧ - دائرة المعارف الإسلامية ج٩/٥١-٥٢

(٥٩) ابن بسام . الذخيرة ق١ ج٢/٦٧٧ وانظر ترجمة الأديب ابن الشهيد لدى الحميدى .

الجذوه / ٣٠٢ وقد أشار محقق الذخيرة إحسان عباس إلى أن النص يشير فى الأغلب إلى (خيال الظل) . كما أورده عبد العزيز الأهوانى فى مقالة المنشور بعنوان (على هامش ديوان ابن قزمان ، بمجلة معهد الدراسات الإسلامية فى مدريد ج١٩، ١٩٧٦ - ١٩٧٨م / ٥٤ - ٥٥) .

(٦٠) انظر ابن عذارى،البيان الغرب ج٣/٨٠ وكذلك الزجالى،أمثال العوام ق١/٢٥٤

(٦١) على هامش ديوان ابن قزمان ، بحث بمجلة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ج١٩ / ٥٥ وأورد محمد ابن شريفة فى تحقيقه لأمثال العوام إشارة إلى زجل ابن قزمان إلاّ أنه لم يربط بين لعبة القلياني وخيال الظل .

ابن قزمان هو أبو بكر محمد بن عيسى عبد الملك أمام الزجالين بالأندلس ولد حوالى سنة ٤٨٠هـ / ١٠٨٧م وتوفى سنة ٥٥٥هـ / ١١٦٠م (انظر ابن سعيد ، المقتطف من ازاهر الطرف ٢٦٣) .

(٦٢) انظر عبد العزيز الأهوانى على هامش ديوان ابن قزمان ٥٥ - ٥٦

(٦٣) انظر الزجالى ، أمثال العوام ، ق١ / ٢٥٤ حاشية رقم ٦

(٦٤) الزجالى . أمثال العوام . ق١ / ٢٥٢

(٦٥) الأبيات المذكورة أعلاه من بحر الوافر الذى وزنه :

مفاعلتن مفاعلتن فعولن مفاعلتن مفاعلتن فعولن

وكلمة (وبحرى) دخلها زحاف فنُقلب من مفاعلين وهذا يسمّى [معصم] أما كلمة (وَغَجَرِىُ) فى تستقيم أبدًا مع وزن الأبيات . ولا مع بَحْرهَا .

(٦٦) أى الجنين الذى يبس فى البطن : انظر لسان العرب ، مادة حش .

(٦٧) انظر محمد بن شريفة . أبو المطرف أحمد بن عميرة ١٩٤ نقلاً عن الرسائل ١٤٩ (محفوظ بالخزانة لعامة بالرباط تحت رقم ٢٣٢) .

(٦٨) الزجالى . أمثال العوام ، ق ١ / ٢٥٣ .

(٦٩) الزجالى . نفس المصدر والقسم والصفحة .

(٧٠) انظر الذخيرة ، ق١ ج٢/٦٥٤ ، الزجالى ، أمثال العوام ق١/٢٥٤

(٧١) رسالة فى آداب الحسبة /٨٣

(٧٢) ابن عذارى : البيان المغرب ج٢/٦٠

(٧٣) ابن حيان : المقتبس ، تحقيق عبد الرحمن الحجى ١٠٧

(٧٤) الإدريسى ، نزهة المشتاق ج٢/٥٦٦

(٧٥) المغرب فى حلى المغرب ج٢/٤٣٤-٤٣٥

(٧٦) انظر ابن سعيد ، القدح المعلى ٧٣ - ٧٥

(٧٧) النواريج مفردها النيرج وهو أُخَذُ تشبه السحر وليست بحقيقة وإنما هو تشبيه وتلبيس (لسان بالعرب . مادة نرج) .

(٧٨) ابن عبد الرؤف ، آداب آداب الحسبة والحتسب ١١٣

(٧٩) الإشارة إلى السندى هنا قد تكون عائدة إلى لعبة معينة أدخلها أحد الهنود إلى الأندلس فعُرفت به ويبدو أنها قريبة مما يعرف فى عصرنا هذا برياضة اليوغا .

(٨٠) رسالة فى آداب الحسبة ٨٣

(٨١) ابن عبد الرؤف . آداب الحسبة والمحتسب ١١٢

(٨٢) الجرسيفى ، رسالة فى الحسبة ١٢٣ - ١٢٤

(٨٣) الجرسيفى ، نفس المصدر والصفحة .

(٨٤) انظر الزجالى . أمثال العوام ، القسم الأول ٢٣٩

(٨٥) الزجالى ، المصدر نفسه والجزء ٢٤٠

(٨٦) الجرسيفى ، رسالة فى الحسبة ١٢٣ - ١٢٤

(٨٧) المقرى ، ج٣/٢٨

(٨٨) المراكشى ، العجب ، المعجب ٢٢٥

(٨٩) الحميدى ، جذوة المقتبس ٢٧٦

(٩٠) الحميدى ، الجذوة / ٢٨٩ وانظر أيضًا أمثلة أخرى لدى الأصفهانى، خريدة القصرج ٢ / ١٣١

(٩١) عبادة كحيلة ، تاريخ النصارى فى الأندلس ١٧٦ - ١٧٧

(٩٢) ابن الخطيب ، الإحاطة ج١/١٣٨

(٩٣) ابن سعيد ، القدح المعلى /٩٥ وتحفة القادم /٦٨

(٩٤) ابن الخطيب ، الإحاطة ج١/٩٩

(٩٥) ابن الخطيب المصدر نفسه ج١/١١٧ - ١٣٨

(٩٦) انظر المقريزى : نفح الطيب ج٣/١٢٧ حيث وصفه بأنه (حوى من آداب المجالسة وطيب المحادثة ومهارة الخدمة الملوكية مام لم يجده أحد من أهل صناعته) .

(٩٧) ابن أبى صيبعة ، عيون الأنباء / ٤٩٣ - ٤٩٤

(٩٨) ابن الأنبار ، الحلة السيراء ج١/ ٢٠٢

(٩٩) الحميدى ، جذوة المقتبس ٢٤٠

(١٠٠) الحميدى ، الجذوة ١٩٦

(١٠١) الزبيدى ، طبقات النحويين واللغويين ٣٠٠

(١٠٢) الزبيدى ، نفس المصدر ص ٢٩٠

(١٠٣) ابن بسام ، الذخيرة ، ق٣ ج١/١٠٠

(١٠٤) ابن عبد الرؤف ، آداب الحسبة والمحتسب ١١٢ - ١١٣

(١٠٥) انظر على سبيل المثال الإحاطة ج٣/٨٥ - ٩٧-١٦٠-١٩٦-٢٢٨ وكذلك ج٢/٧٣ . وأصحاب التراجم المذكورة هناك كانوا فى قرون متأخرة من تارخ الأندلس .

(قائمة المصادر والمراجع)

(١) ابن أبى أصيبعة . (ت ٦٦٨ هـ)
عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ، تحقيق نزار رضا .
دار مكتبة الحياة . بيروت ١٩٦٥م .

(٢) الإدريسى ، محمد بن محمد (ق ٦هـ)
نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق . مكتبة الثقافة الدينية القاهرة .

(٣) الأصفهانى ، عماد الدين محمد (ت ٥٧٩هـ) .
خريدة القصر وجريدة العصر ، تحقيق محمد العروسى وآخرين ، الدار التونسية للنشر ، ط الثالثة .

(٤) ابن بسام ، على بن بسام (ت ٥٤٢ هـ) .
الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة بيروت ١٣٩٨هـ .

(٥) الجرسيفى ، عمر بن عثمان (ق ٦هـ) .
رسالة فى الحسبة ، تحقيق ليفى بروفينسال ، مطبعة المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية القاهرة ١٩٥٥م .

(٦) الحميدى ، محمد بن أبى نصر (ت ٤٨٨هـ) .
جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الأندلس . الدار المصرية للتأليف والترجمة القاهرة ١٩٦٦م .

(٧) ابن حيان ، حيان بن خلف (ت ٤٦٩هـ) .
المقتبس فى أخبار بلد الأندلس . تحقيق عبد الرحمن الحجى . دار الثقافة . بيروت ١٩٦٥م وكذلك الجزء الذى حققه محمود مكى دار الكتاب العربى بيروت ١٩٧٣م .

(٨) ابن الخطيب (ت ٧٧٦هـ) .

الإحاطة فى أخبار غرناطة ، تحقيق محمد عنان ج١ ط الثانية ح٢و٣و٤ ط يالأولى مكتبة الخانجى القاهرة .

(٩) الزبيدى ، محمد بن الحسن (ت ٣٧٩هـ) .

طبقات النحويين اللغويين ، تحقيق محمد أبو الفضل . دار المعارف ط الثالثة.

(١٠) الزجالى ، عبد الله بن أحمد (ت٦٩٤هـ) .

أمثال العوام فى الأندلس ، دراسة وتحقيق د / محمد بن شريفة منشورات وزارة الدولة المكلفة بشئون الثقافة . مطبعة محمد الخامس بفاس .

(١١) ابن زهر ، عبد الملك بن زهر (ت ٥٥٧هـ) .

الأغذية . تقديم وتحقيق . إكسبيراثيون غارثيا المجلس الأعلى للأبحاث العلمية معهد التعاون مع العالم العربى ، مدير ١٩٩٢م .

(١١) ابن سعيد ، على بن موسى (ت ٦٨٥هـ) .

(١) المغرب فى حلى المغرب. تحقيق شوقى ضيف. دار بالمعارف ، القاهرة ١٩٦٤م.

(٢) القدح فى التاريخ المحلى . اختصره محمد بن عبد الله بن خليل ، تحقيق إبراهيم الأبيارى ، دار الكتب اللبنانى ، بيروت ط الثانية ١٩٨٠م .

(١٢) ابن صاحب الصلاة ، عبد الملك (ت ٥٩٤هـ) .

المن بالإمامة ، تحقيق عبد الهادى التازى . دار المغرب الإسلامى . بيروت ١٩٨٧م .

(١٣) ابن عبد الرؤوف ، أحمد بن عبد الله (ق ٥هـ) .

رسالة فى آداب الحسبة والمحتسب . تحقيق ليفى بروفنسال . مطبعة المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية . القاهرة ١٩٥٥م .

(١٤) أبو عبيدة ، معمر بن المثنى (ت ٢٠٩هـ) .

أيام العرب . جمع وتحقيق عادل جاسم . مكتبة النعضة العربية بيروت ، ط الأولى ١٩٨٧م .

(١٥) **ابن عذارى ، أبو عبد الله محمد (ق ٨هـ) .**
البيان المغرب فـى أخبـار الأندلـس والمغـرب . ج٢ . تحقيـق ومراجعـة ج.س كولان وليفى بروفنسال . دار الثقافة بيروت .
(١٦) المسعودى ، على بن الحسين (ت ٣٤٦هـ) .
مروج الذهب ومعادن الجوهر . تحقيق محمد محى الدين عبد الله عبد الحميـد. مطبعة السعادة . القاهرة . ط الرابعة ١٩٦٤م .
(١٧) المراكشي ، عبد الواحد بن على (ت ق ٧هـ) .
المعجب فى تلخيص أخبار المغرب . تصحيح وتعليـق . محمـد سـعيد العريـان ومحمد العربى العلمى . دار بالكتاب . الدار البيضاء . ط السابعة ١٩٧٨م .
(١٨) المقرى ، أحمد بن محمد (ت ١٠٤١هـ) .
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب . تحقيق إحسـان عبـاس . دار صـادر بيروت ١٩٦٨م .
(١٩) ابن منظور ، جمال الدين محمد .
لسان العرب . دار صادر ، بيروت .

(أ) المراجع :

– **أحمد عطية الله** : القاموس الإسـلامى ، ج٢ مكتبـة النهضـة المصريـة القـاهرة ١٩٦٦م .
– **أحمد مختار العبادى** : مشاهدات لسان الدين بـن الخطيـب . مؤسسـة شـباب الجامعة . الإسكندرية ١٩٨٣م .
– **آدم متز** : الحضارة الإسلامية فى القرن الرابـع الهجـرى . تعريـب محمـد عبـد الهادى أبو ريده . دار الكتاب العربى ، بيروت ط الرابعة ١٩٦٧م .
– **أمـين الخـولى** : الرياضـة والحضـارة الإسـلامية . دار الفكـر العربـى القـاهرة ١٩٩٥م .

- **عباده كحيلـه** : تـاريخ النصـارى فـى الأندلـس ، المطبعـة الإسـلامية الحديثـة القاهرة ١٩٩٣م .
- **محمد بن شريفه** : أبو المطـرف أحمـد بـن عمـيرة حياتـه وآثـاره ، منشـورات المركز الجامعى للبحث مطبعة الرسالة . الرباط ١٩٦٦م .
- **يوسف شكرى** : غرناطة فى ظل بنى الأحمر ، المؤسسـة الجامعيـة للدراسـات الجامعية والنشر ، بيروت ط الأولى .

(ب) الدوريات :

- **السيد عبد العزيز سالم** : صور من المجتمع فـى عصـر الخلافـة الأمويـة وعصـر دويلات الطوئف من خلال النقوش فى علب العـاج ، (بحيـث بمجلـة معهـد الدراسات الإسلامية مدريد ج١٩ سنة (١٩٧٦ - ١٩٧٨م) .
- **عبد العزيز الأهوانى** : على هوامش ديوان ابـن قزمـان (بحـث بمجلـة معهـد الدراسات معهد الإسلامية فى مدريد ج١٩ سنة ١٩٧٦ - ١٩٧٨م .
- **دائرة المعارف الإسلامية** : تعريب أحمد الشنتناوى وإبراهيـم زكـى خورشـيد وعبد الحميد يونس . دار الفكر .